سفر راعوث

The Book of Ruth

هاملتون سميث

Hamilton Smith

www.muhammadanism.org
June 22, 2009
Arabic

المحتويات

مدخل		١
راعوث ١	الغريبة	٣
راعوث ٢	لاقوطة الحصيد	١٠
راعوث ٣ & ٤	العروس	١٨

مدخل

هناك لمسات سحرية خاصة تحيط بقصة راعوث تجعل هذا السِّفْرَ القصير من الكتاب المقدس جـــذّاباً بشكل خاص للقارئ العاديّ. إنها قصة حب من الأيام الخوالي يمتزج فيها الحزنُ والفرح، الإخفاق والإخلاص، الحياة والموت، وتقود جميعاً في نهاية الأمر إلى يوم الزفاف وولادة الوريث. خلفيةُ القصة نفسها مريحة للنفس؛ إذ أننا ننتقل إلى مشاهد رعوية فنجد أنفسنا مع الحصّادين واللاقطين[1].

وعلى كل حال، بالنسبة للمسيحي، إن قراءته للصفحات المقدسة والمسيح أمام روحه، تجعل من قصة راعوث ذات اهتمام أعمق، ومعنىً أغنى، إذ من خلالها يتبين له، كما في "كل الكتابات المقدســـة"، أن "كـــل الأشياء تتعلق به نفسه (المسيح)".

تاريخياً يشكّل سفرُ راعوث ارتباطاتٍ هامة في سلسلة نسب الرب يسوع بحسب الجسد. يختتم السفر بسلسلة نسب قصيرة تشتمل على عشرة أسماء تنتهي بدعوة الملك. في الأصحاح الافتتاحي من العهد الجديـــد هذه الأسماء العشر لها مكانة مرموقة محترمة في سلسلة نسب ملك الملوك، لكن مع هذا الاختلاف أو الفارق في أن روح الله قد قدَّم، بما يتعلق بهذه الأسماء، أربع نساء – إحداهن هي راعوث الموآبية. من اللافت للانتباه أن كل امرأة من هؤلاء ترتبط بها قصة فشل وخزي، وهذا يُظهر بشكل واضح أنه "حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً". ولذلك، فتاريخياً، سفرُ راعوث هو تدوينٌ لنعمة الله في أنه، وقبل ثلاثة عشر قرناً من مجيء الملك كان يضمنُ نسلَ الذي سيأتي منه الرب، منتصراً، بعمله هذا، على كل إخفاقات الناس، ومُظهراً النعمة بأسمى أشكالها، بإتيانه بغريبة موآبية إلى نسل الملك.

لقد كان يوم إخفاقٍ وفشلٍ وضعفٍ وسط شعب الله ومع ذلك يصبح واضحاً أنـــه، أي الله، دون أن يعوقه أي إخفاق، كان يشق الطريق ويحقق هدفه في التحضير لمِلكِه. نعم أيضاً وأيضـــاً. كـــان الله يســـتخدم الظروف في تلك الأيام، وإخفاقات الناس نفسها، ليحققَ أهدافَه هذه. من كان ليتصور أن مجاعةً في بيت لحـــم كانت ستكون لها علاقة بميلاد الملك في بيت لحم بعد ثلاثة عشر قرناً؟ ومع ذلك هكذا كان الحال، لأن المجاعة كان حلقةً في سلسلة الظروف التي أتت براعوث الموآبية إلى خط نسل الملك.

بالنسبة لنا، أن نعيشَ كما نفعل في أيام إخفاق وضعفات أشد ستكون وسط شعب الله، يكون معزيا للقلب، ومسكناً للنفس، أن ندرك أن وراء كل إخفاقات الإنسان في مسؤوليته خلال كل العصور، كـــان الله وسيبقى يحقق أهدافه في المسيح لمجد المسيح ولبركة شعبه، سواء كان أرضياً أم سماوياً. إضافةً إلى ذلك، فما من قوة للعدو، وما من معارضة في العالم، وما من إخفاق عند شعبه، يمكن أن يعيقَ الله عن تحقيق أهدافه في البركة وفي إكمالها على شكل مجيد. كما في قصة راعوث، حيث كل شيء يقود إلى يوم الزفـــاف، كـــذا الحـــال في إسرائيل كل شيء يؤدي إلى تأسيس علاقتهم بالمسيح وهكذا الحال أيضاً في الكنيسة التي تتحرك نحـــو اليـــوم العظيم لعرس الحمل.

رمزياً، يُظهرُ سفرُ راعوث تحقيقَ كل وعود الله فيما يتعلق ببني إسرائيل على أساس النعمـــة الجليلـــة المجيدة، بعد أن فقد الشعبُ كلَّ حق بالمطالبة بالبركة على أساس مسؤوليتهم. ولذلك فإنه يعرض تضارباً مذهلاً صاعقاً مع السِّفْر السابق. فكتابُ القُضاة يُظهرُ الإخفاقَ المتصاعد باطراد للإنسان، رغم تدخل الله ومعونتـــه،

[1] - اللاقط (gleaner): هو الشخص الذي يلتقط فضلات الحصاد [فريق الترجمة].

منتهياً بمشاهد العتمة القاتمة والانحطاط الأخلاقي. يصورُ سفر راعوث فعاليات نعمة الله، رغم إخفاق البشـــر، وينتهي بمشهد الفرح والبركة.

ولكن، في معزل عن أهميتها التاريخية والرمزية، قصةُ راعوث غنيةٌ بالتعليم الأخلاقي والروحي الـــذي نتعلم منه شيئاً عن الطرق الصادقة المخلصة والسَّمحة التي في تاريخ تعامل الله مع نفوسنا، سواء في إخراجنا من ظلمة طبيعتنا إلى نور هدفه المعين لنا في المسيح، أو في طرقه من ناحية نعمته المجدِّدة التي ابتعدنا كـــثيراً عنـــها. وبشكل أساسي، ومن خلال وجهة نظر التعليم الأخلاقي، سنتأمل لبرهة في هذه القصة المؤثرة.

راعوث الغريبة

راعوث ١:

"الرَّبُّ يَفْتَحُ أَعْيُنَ الْعُمْيِ. الرَّبُّ يُقَوِّمُ الْمُنْحَنِينَ. الرَّبُّ يُحِبُّ الصِّدِّيقِينَ. الرَّبُّ يَحْفَظُ الْغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ. أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَيُعَوِّجُهُ" (مزمور ١٤٦: ٨، ٩).

من الآية الافتتاحية نعرف أن سفر راعوث يتناول الأحداث التي جرت "فِي أَيَّامِ حُكْمِ الْقُضَاةِ". من الآية الأخيرة في السفر السابق نعرف أن أيام حكم القضاة تميزت بأمرين: فأولاً، "لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ". وثانياً، "كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْهِ".

إنها لأمرٌ خطيرٌ وصعبٌ تلك الحالة عندما يتخلى أي شعب عن حاكمه، إذ أن هكذا شعب سيكون بلا رأس يوجّهه أو سلطة تحكمه. وعندما تكون الحالة هكذا فإن كل إنسان يفعل ما يراه صواباً في عينيه وهذا يؤول إلى أنه ما من شيء صائب يحدث.

فقدان الملكية يؤدي إلى صعود الديمقراطية التي تؤدي إلى حكم الإرادة الذاتية، وهذا قد يرمي جانباً كلَّ قيود ويؤدي إلى التساهل مع كل أنواع الإنحرافات. تحت وطأة هذه الظروف كان شعب الله مسحوقاً في أيام القضاة. وللأسف، هذه الحالة المتردية المتدنية نجد نسخةً عنها في عالمنا اليوم وسط شعب الله المعترِف. نفسُ المبادئ نجدها فعالة ومؤثرةً ومؤديةً إلى نفس النتائج. إرادة الإنسان الذاتية، وتحرره من القيود، يجعله يرفض كل سلطة. إن الملكية تتلاشى أمام إرادة الشعب حيث يسعى كل إنسان ليفعل ما يراه صائباً في عينيه. الديمقراطية سلطة ضعيفة واهنة في كل دوائر الحياة. الناس يسعون ليحكموا بدلاً من الملك وممثليه: الناس يسعون ليحكموا بدلاً من المعلمين، والأطفال بدل الآباء. والنتيجة أن نظام العالم كله يصير فاسداً أخلاقياً وسرعان ما يسقط ويتحول إلى دمار وفوضى.

ولكن للأسف نفس المبادئ التي تأتي بالفوضى والشواش إلى العالم، نجدها فاعلةً وسط شعب الله، مع نفس النتائج المحزنة المؤسفة. ولذلك فإننا نجد أنهم هم أيضاً منقسمون ومبعثرون ومتفرقون، وعملية الانحلال لا تزال مستمرة. إن ممارسة الإرادة الذاتية تغلق الباب أمام سلطة الرب وإرشاد الرأس. وكما العالم كذا جمهور مسيحيين يفعلون ما يرون أنه صائب في أعينهم. هذه المبادئ كانت سائدة حتى في أيام الرسول بولس، ولذلك قد توجب عليه أن يحذّرَ القديسين من أن يكونوا في خطر عدم اتّباع الرأس، ويعترف بأسى أن "الْجَمِيعِ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ لأَنْفُسِهِمْ لاَ مَا هُوَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ".

في اللحظة التي نتوقف فيها عن أن نستمد كل معونتنا ومواردنا من المسيح، الرأس الصاعد لجسده الذي هو الكنيسة، في هذه اللحظة نتوقف عن أن نسلك تحت إرشاد الرب وتوجيه الروح القدس، فنبدأ بالقيام بما يحسن في أعيننا. قد لا نفعل ما هو خطأ أخلاقي في نظر العالم، ولكننا نكون فعالين في العمل، وربما مخلصين بشكل كامل؛ ولكن إن كانت مطالب الرب في نشاطاتنا وفعاليتنا، وتوجيه الرأس، موضع تجاهل، فإننا إنما نفعل إرادتنا الذاتية فيما هو صواب في أعين أنفسنا.

النتيجة المُحزِنة للحالة المتردّية لإسرائيل نجد وصفها في الآية الافتتاحية من الأصحاح الأول هذا. فقد أدت إلى "جُوع فِي الأَرْضِ". في الأرض التي كان يُفترض أن تكون مكان وفرة في هذا العالم، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً– لم يكن هناك ما يكفي من المؤونة لسد حاجات شعب الله.

يا للأسف! نفسُ الشرور قد دخلت إلى العالم المسيحي وبنفس النتائج السيئة. فالمسيحيون ما عـــادوا ينظرون إلى الرأس أو يلتزمون به، وما عادوا يعطون الرب مكانته من السلطان، وقد شرعوا يفعلون ما يعتبرونه الأفضل في نظرهم، مشكّلين بذلك طوائف لا عدد لها فيها يتضور شعب الله جوعاً إلى الغذاء الروحي. بيت الله الذي يجب أن يكون مكان وفرة لكثيرين، قد صار في أيدي الناس مكان مجاعة وجوع.

١.

زمن الجوع يصبح زمناً للاختبار للمؤمن الفرد. إن المجاعة تختبر إيماننا. كان أليمالك في أرض الله مع بني إسرائيل. وكانت خيمةُ الاجتماع هناك؛ والكهنة كانوا هناك؛ والمذبح كان هناك. ولكن في طرق الـــرب التدبيرية مع شعبه، كانت المجاعة هناك أيضاً؛ وكان هذا اختبار أليمالك، فيما إذا كان سيثق بالله خلال المجاعة ويبقى في الطريق المحدد له من قبل الله رغم المجاعة؟ للأسف هذا الرجل من بيت لحم لم يكن أهلاً للامتحان. لقد كان مستعداً لأن يسكن في أرض الله منفصلاً عن الشعوب الأخرى في زمن الوفرة، ولكنه يهجر الأرض تحت وطأة ظروف المجاعة والجوع.

وهكذا ففي تاريخ الكنيسة، كان هناك كثيرون قانعين بأن يكونوا على ارتبـــاط مـــع شـــعب الله، والشهادة للرب، عندما كان آلاف يهتدون، وعندما كان كل أولئك الذين يؤمنون بقلب واحد ونفس واحدة، وعندما كانت عليهم جميعاً "قوة عظيمة" و"نعمة عظيمة". ولكن عندما بدأ المسيحيون المعترفون بأن يفعلوا ما كان صائباً في أعينهم، عندما سعى الجميع ليقوموا بأمورهم الذاتية، وبولس الرسول العظيم كان في الســـجن، والبشارة كانت في بلوى، عندها ظهرت المجاعة بالفعل. ومع المجاعة جاء زمن الاختبار، وتحت وطـــأة اختبـــار الإيمان انهار كثيرون، حتى اضطر بولس إلى القول: "جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي" وأيضاً: "الْجَمِيعِ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ لأَنْفُسِهِمْ لاَ مَا هُوَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ".

حتى في يومنا هذا لا يمكننا أن نتجنب اختبار المجاعة. إن الله برحمته أنار من جديد كثيرين إلى الأساس الحقيقي الذي يستطيع شعبه أن يلتقي معاً على أساسه، وانجذب كثيرون بخدمة الكلمة وقبلوا بفـــرح طريـــقَ الفصل. ولكن عندما يأتي الاختبار، عندما تكون الأعداد قليلة، عندما يكون الضعف الخارجي ظاهراً متجلياً، وعندما لا يكون هناك سوى خدمة ضئيلة، عندها يجدون أن الطريقَ قويمٌ جداً بالنسبة لهم، والضعفَ ذو وطأة شديدة عليهم، والصراعَ شديدٌ للغاية. وتحت ضغط الظروف ينكرون المكانة التي هم فيها ويتيهون إلى مكان ما يختارونه من تلقاء أنفسهم يأملون به أن يجدوا مفراً من التجربة وراحةً من الصراع.

كان هذا هو الحال مع أليمالك. إن اسمه ذو مغزى مناسب جداً إذ يعني "الذي إلهه ملك". لعل والداه كانا تقيين، وأدركا أنه ليس هناك ملك في إسرائيل، فرغبا في أن يكون الله ملكاً على ابنهما. ولكن للأســـف، كما هو الحال غالباً، فإننا لا نكون صادقين وأوفياء لأسمائنا. عندما جاء الاختبار أخفق أليمالك في إظهار الولاء والطاعة للملك. إن كان الله ملكاً فهو يستطيع أن يؤازر وأن يساند المؤمنين في أيام المحنة كما في أيام الـــوفرة والراحة؛ إن إيمان أليمالك لم يكن بمستوى الاعتراف الذي يوحي به اسمُه، وهكذا لم يكـــن مـــؤهلاً لضـــغط الظروف. ولذلك عندما وُضِعَ على المحك، فإنه أخذ طريق المرتدين، وليس هذا فقط، بل أن آخرين تنحوا جانباً أيضاً بسبب نقص إيمانه. ومن الطبيعي أن تتبعه زوجتُه وابناه.

أما وقد ترك أرض الرب، فإنه جال وتاه إلى مكان اختاره بنفسه. والأسوأ من ذلك، وإذ قد وصل إلى أرض موآب، فقد "استمر هناك". من السهل أن نستمر في مكان زائف أكثر من أن نقيم في المكان الصحيح الحقيقي. المكان الذي يختاره ذو مغزى. فالبلدان التي تحيط بأرض الموعد، كانت ترمز بلا شك إلى العالم بأشكال مختلفة. مصر تمثّل العالم بكنوزه من الثروة والمسرات الناتجة عن الخطيئة؛ وعلاوة على ذلك عبودية الشيطان التي سيستجرها ذلك السعي وراء المسرات. بابل كانت تمثل العالم في فساده الديني. تمثّل موآب أيضاً مظهراً مختلفاً من العالم. مغزاها الروحي يشير إليه النبي إرميا عندما يقول: "مُسْتَرِيحٌ مُوآبُ مُنْذُ صِبَاهُ وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عَلَى دُرْدِيِّهِ وَلَمْ يُفْرَغْ مِنْ إِنَاءٍ إِلَى إِنَاءٍ" (إرميا ٤٨: ١١). إن موآب تمثل حياة الراحة التي يسعى إليها المرء متقاعداً ومستريحاً من كل ارتباك، حيث ليس هناك سوى حركة ضئيلة، وتتدفق الحياة بدون تغيير كبير. إن استخدام التشبيه الاستعاري للنبي ليس فيه تفريغ من إناء إلى إناء. مصر، بمتعها الكبيرة، وبابل بدينها الفاسد، لم تكن تجتذب أليمالك. ولكن موآب بالراحة والخلوة والتقاعس الذي فيها، كانت تروق كثيراً له كمنفذ به يهرب من الصراع والتجربة. وبوجود المجاعة تبقى موآب الفخ الكبير لأولئك الذي قبلوا يوماً الله وصاروا شعباً له. في حضور المجاعة مثل هكذا إنسان يجد الصراعَ من أجل الحفاظ على طريق الانفصال مؤلماً جداً، والحركة المطردة المستمرة في الطريق تكون فاحصة جداً، فيتعرضون للإغواء للتخلي عن الكفاح الصالح للإيمان ويستقرون بهدوء في وادي موآب المنعزل الهادئ، ولا يعودوا ينتقلون من إناء إلى إناء، بل يركدون في أمورهم الذاتية. ولكن على مثال أليمالك علينا أن نتعلّم، وغالباً من خلال خبرة مؤلمة، النتيجة المريرة للإرتداد والإنغماس في المعاصي.

كما رأينا ، لم يأتِ أليمالك وحدُه فقط إلى موآب، مع زوجته وابنيه، بل إنهم "أقاموا هناك". لم يكن هناك شفاء لأليمالك. فبالنسبة له صارت أرض موآب وادي ظلال الموت. لقد سعى إلى تجنب الموت بالمجاعة في أرض يهوذا، فسار مباشرة إلى أذرع الموت في أرض موآب. الخطوة نفسها التي اتّخذها ليتحاشى الموتَ جلبتْ عليه الموت. إن الخطوة الخاطئة التي يتخذها المرء ليتجنب الإشكال والصعوبات تؤدي إلى الإشكالات والصعوبات التي نسعى إلى تحاشيها. إضافة إلى ذلك أن نطلب الراحة في هذا العالم، حتى في الأشياء التي ليس فيها خطأ أخلاقي، هو أن نطلب الراحة في الأشياء التي يأخذها الموتُ منا، أو التي نُؤْخَذُ منها بالموت. في أجمل مشاهد الأرض هناك ظل الموت. ولكن المسيح قائم، وما عاد للموت سطوة عليه، ومن الأفضل بكثير أن نكون مع المسيح القائم في مجاعة من أن نُحاط بوفرة هذا العالم في رفقة مع الموت .

يموت أليمالك. التأثيراتُ السيئة لخطوته الباطلة، لم تكن مقتصرة عليه. فنعمي– زوجتُه، وابناه قد تبعاه إلى موآب. وشكّل الابنان أحلافاً مع نسائهم من موآب، بعكس ناموس الرب. عشر سنوات تمر ثم يأخذُ الموتُ روحَ الابنين. أما نعمي، وإذ قد حُرِمَتْ من الزوج والأبناء، فإنها تُترك كأرملة معزولة وبلا أولاد في أرض غريبة. لقد جردها الرب ممن يخصّونها وأتى بها إلى الإقفار والأسى، ولكنه لم يتخَلَّ عنها. اليدُ التي ضربتْ هذه المرأة المبتلية المتفجعة بقوة حركها نفسَها قلبٌ محب. إن تأديب الرب يعد الطريق لتجددها واستعادتها.

.٢

إذا رأينا في أليمالك طريق الارتداد والتخاذل، فإننا نرى في نعمي طريق الإستعادة. بعيداً عن أرض الرب وبعد عشر سنوات طِوال، طلبت الراحةَ في أرض موآب فلم تجدْ سوى الألم والحزن. ولكن تأديبَ الرب

أخيراً لها، أثَّرَ في حياتها كثيراً، وأتى بمفعوله، إذ نقرأ أن: "قَامَتْ هِيَ وَكَنَّتَاهَا وَرَجَعَتْ مِنْ بِلاَدِ مُوآبَ" (الآيـــة ٦). ما الذي حفَّزها لكي تعود؟ أكان ذلك هو الآلام التي احتملَتْها والخسارات التي تعرضتْ لها؟ لا. بل النبأ السار عن نعمة الرب هو الذي أعادها. إذ عندما "سَمِعَتْ فِي بِلاَدِ مُوآبَ أَنَّ الرَّبَّ قَدِ افْتَقَدَ شَعْبَهُ لِيُعْطِـــيَهُمْ خُبْزاً"، هنا "قَامَتْ ..... وَرَجَعَتْ" (الآية ٦). إن الآلام لن تحركنا للعودة إلى الرب، رغم أنها قد تعلّمنا كـــم هو مر التجوال والتيهان بعيداً عن الله، وهكذا يعد القلب للإصغاء إلى النبأ السار المتعلق بالرب ونعمته نحـــو شعبه. لم يكن البؤس والحاجة أو العبودية المريرة أو خشونة الحياة والجوع في البلد البعيد هي ما أعـــاد الابـــن الضال إلى دياره، بل تذكّره للوفرة في بيت أبيه. والنعمة والرحمة في قلب الأب هي التي قادته إلى أن يقـــول: "أقوم وأمضي إلى أبي". لم يكن البؤس في ذلك البلد البعيد هو الذي قاده إلى العودة، بل رحمة قلب الله ونعمته هي التي اجتذبَتْه فعاد. وهكذا الحال مع نعمي، في أرض موآب، حيث أُخذ الجميع منها، فقد سمعت عن أرض يهوذا حيث كان الرب "يعطي" شعبَه. وبوجود الرب أمامها، رُفعت فوق كل إخفاقها ونهضت لتعود. وكمـــا نرنم أحيانا:

"فكرة محبة يسوع،

ترفع قلوبنا البائسة فوق هذا العالم المتعب"

خطوتها الأولى في طريق العودة إلى الديار هي أن تتخلص من الرفقة الزائفة في موآب. "وَخَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ فِيه" (الآية ٧). وهذه الخطوة العملية نفسها كان لها تأثير مباشر على آخرين. إن كنتيهـــا ذهبتا "معها". أن ننتقد مكاناً غير ملائم ومع ذلك نبقى فيه، سوف لن يكون له تأثير على الآخرين، إن كـــان المكان غير صحيح أو سليم فإن أول خطوة يجب أن تكون هي أن ننفصل عن هذا المكان الخطأ.

هكذا كانت الحال مع نعمي. لقد انطلقت وكنَّتيها معها. لقد تركن رفقاء السوء وذهبن إلى المكـــان الصحيح المتاح أمامهن "وَسِرْنَ فِي الطَّرِيقِ لِلرُّجُوعِ إِلَى أَرْضِ يَهُوذَا".

٣.

يا للأسف، الانفصال عن المكان الساقط، وأن يكون لدينا مكان صحيح في نظرنا، سوف لن يـــدل بالضرورة على صدقية كل من يتصرف على هذا النحو. من بين هؤلاء النساء الثلاث كانت نعمي القديســـة المترددة في طريق الإسترداد؛ لقد تميزت راعوث، الشاهدة على نعمة الله الفياضة الجديدة، بالإيمان وبالمشـــاعر المتكرسة المخلصة، وكانت عرفة مثالاً عن المعترف الفارغ ومع ذلك الذي لن يصل إلى أرض الموعد.

إن راعوث وعرفة كلتيهما تشكلان إقرارا بالتكرس الذي لدى نعمي. كلتاهما تعبران عن رغبتـــهما بمغادرة أرض والديهما، وكلتاهما تتوجهان نحو أرض الرب. ولكن، وكما دائماً، الاعترافُ يُوضَعُ على المحك. فتقول نُعْمِي: "اذْهَبَا ارْجِعَا كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى بَيْتِ أُمِّهَا" (الآية ٨). لقد كانت لديهم الفرصة لكي يرجعوا. وهذا سيلقي ضوءً يبين إذا ما كان فكرهما متوافقاً مع اعترافهما الخارجي الظاهر. إن كانتا مدركتين وواعيتين لذلك البلد الذي خرجتا منه فقد كانت لديهما الفرصة للعودة (عبرانيين ١١: ١٥). وسرعان ما ينكشـــف فكـــر عرفة، فقلبها متشبث بأرض مولدها. وراعوث، كما سارة، سترغب "ببلد أفضل". ورغم ذلك، فـــإن عرفـــة تظهر إقراراً جميلاً، ولكنه مجرد إقرار وحسب. فمشاعرها كانت متأثرة بعمـــق، إذ رفعـــت صـــوتها وبكـــت (الآية٩): لقد تأثّرت عاطفياً "فَقَبَّلَتْ.... حَمَاتَهَا" (الآية ١٤). لقد كانت كلماتها جميلة حين قالت: "إِنَّنَا نَرْجِعُ

مَعَكِ إِلَى شَعْبِكِ" (الآية ١٠). إنه لأمر ذو مغزى، على كل حال، أن راعوث تذكر إله نعمي، ولكن مع عرفة ليس هناك سوى نعمي وشعب نعمي. وهكذا، ورغم ما قالته، ورغم دموعها، وقبلاتها، فإنها تدير ظهرها لنعمي، وإله نعمي، وأرض البركة، وتعود إلى "شعبها"، و"آلهتها"، وأرض ظل الموت.

٤.

كم هو مختلفٌ تاريخ أو قصة راعوث؛ إذ أنها تصبح الشاهدة على نعمة الله. تبدي راعوث أيضاً اعترافاً جيداً؛ وهي أيضاً تنطق بكلمات جميلة؛ هي أيضاً تأثرت بعمق، إذ أنها، مثل عرفة، رفعت صوتها وبكت. ولكن مع راعوث هناك أكثر من ذلك، إذ معها نجد "الأشياء التي ترافق الخلاص"، الإيمان، والمحبة، والرجاء (عبرانيين ٦: ٩-١٢).

مع عرفة كان هناك فقط التعبير الخارجي عن المحبة. لقد أمكنها أن تقبّل نعمي وأن تغادرها، تماماً كما نرى في زمان بعيد لاحق كيف أن يهوذا أمكنه أن يقبّل ويسلم الرب. لا يقال عن راعوث أنها قبّلت نعمي؛ ولكن إن لم يكن هناك تعبير خارجي عن المحبة فقد كانت هناك محبة حقيقية، إذ نقرأ: "وَأَمَّا رَاعُوثُ فَلَصِقَتْ بِهَا" (الآية ١٤). إن المحبة، إن كانت حقيقية، فلا يمكن أن تتخلّى عن المحبوب، ويجب أن تكون مترافقةً مع المحبوب، ولذلك تضيف راعوث قائلة: "لاَ تُلِحِّي عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَكِ وَأَرْجِعَ عَنْكِ".

إضافة إلى ذلك، فإن إيمانها يعادل مشاعرها. ففي اتقاد إيمانها تتغلب على اجتذاب أرض مولدها، وطن أمها، وشعبها، وآلهتها. وتقبل خوض طريق الحج، إذ تقول: "حَيْثُمَا ذَهَبْتِ أَذْهَبُ". إنها تتمسّك بنصيب الإنسان الغريب، لأنها تقول: "حَيْثُمَا بِتِّ أَبِيتُ". فتطابق بينها وبين شعب الله إذ تقول: "شَعْبُكِ شَعْبِي". وفوق كل شيء تضع ثقتها في الله الحقيقي، فهي لا تقول فقط: "شَعْبُكِ شَعْبِي"، بل تضيف قائلة: "إِلَهُكِ إِلَهِي". فالموت نفسه لا يمكن أن يعيدها إلى ديارها، إذ تقول: "حَيْثُمَا مُتِّ أَمُوتُ وَهُنَاكَ أَنْدَفِنُ". فتوحّد ذاتها كلياً مع نُعمي، في الحياة وفي الممات، ومن هنا تقول أن شعب نعمي هم شعبها وأن إله نعمي هو إلهها. ففي تلك اللحظة ليس أمام ناظرها سوى امرأة عجوز مُحطَّمة الفؤاد واختارت أن تكون معها. فكما قال أحدهم، فإن راعوث ألقت قرعتها على نعمي "مُراهنةً عليها في ساعة ترمّلها، وتغرّبها وافتقارها".

بالنسبة لإنسان العالم المتعقل الحصيف، يبدو خيار راعوث حماقة. أن تترك اليسر في موآب، والراحة في الديار، ومسقط رأسها، وأن تسلك رحلة البرية التي لا تعرف عنها شيئاً، إلى أرض لم ترها إطلاقاً، في رفقة أرملة مبتلية بالفقر، يبدو بالفعل ذروة الحماقة. ولكن ما هذه إلا بداية القصة، والنهاية لم تأتِ بعد. لا يظهر حتى الآن كيف ستكون عليه الخاتمة. إن الإيمان يمكن أن يتخذ خطوته الأولى في ظروف الفقر والضعف، ولكن في النهاية سيتبرر الإيمان، وستكون له مكافأة مشرقة، في ظروف القوة والمجد. في بداية القصة نجد راعوث متعلقة قلبياً بالأرملة الوحيدة الطاعنة في السن؛ وفي النهاية تظهر لنا كعروس لبوعز المقتدر الغني؛ وفوق ذلك فإن اسمها تتناقله الأجيال ويكون لها مكانة في سلسلة نسب الرب.

موسى، في أيامه وبكل الأفضلية أو الميزات التي كان يمكن للطبيعة أن تمنحها، وبكل مجد هذا العالم الذي كان في قبضته، صار مثالاً ساطعاً عن هكذا إيمانٍ. إذ أدار ظهره إلى مُتَع الخطيئة وكنوز مصر، مُقدّراً أن خزي المسيح هو غنىً أعظم بكثير من كنوز مصر، فإنه تخلى عن العالم وكل أمجاده ليجد نفسه في مشهد البرية في صحبةٍ مع الشعب البائس الفقير والمتألم. كم كان ذلك التصرف يبدو حماقة كلية في نظر العالم! ولكن في

عصره أمكن للإيمان أن يقول حقاً: "لم يبدُ بعد كما سيكون عليه". كان على الإيمان أن ينتظر ستة عشر قرناً قبل أن يبدأ بالظهور على ما سيكون عليه؛ وعندها يُسمح لنا بأن نرى موسى ظاهراً في المجد على جبل التجلي في رِفقة ابن الإنسان، تلك الرؤيا العابرة لمجدٍ لن يزول. وعندما يدخل موسى في نهاية الأمر إلى أمجاد الملكوت الآتي برفقة ملك الملوك، فسيتجلى عندئذ أن أمجاد هذا العالم التي رفضها (موسى) كانت صغيرة جداً بالمقارنة مع المجد الأبدي العظيم الذي سيكون قد جناهُ.

وليس الحال هكذا في أيامنا. إن طريق الإيمان قد يبدو في نظر هذا العالم طريق حماقةٍ شديدة. أن ترفض مجدَ العالم– في أن تتطابق مع الشعب الله الفقير والمحتقر، وأن تمضي إلى المسيح خارج المحلة حاملاً خزيه– قد يبدو للعقل البشري، والنظر الطبيعي، جنوناً مطبقاً. ولكن الإيمان لا يزال يجيبنا قائلاً: "لم يبدُ بعد كما سيكون عليه". والإيمان يُقدِّر أن "خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيّاً". وسينالُ الإيمانُ مكافأته المتألقة؛ فعندما يحل يوم المجد، في نهاية الأمر، ويصبح الإيمانُ منظوراً– عندما يأتي يوم زفاف الحمل العظيم– عندها سيظهر معه قديسوه الفقراء البائسون المحتَقَرون، كالعروس، عروس الحمل.

إضافة إلى ذلك، فإن الأشياء التي ترافق الخلاص– الإيمان والمحبة والرجاء، إن وُضِعت في التنفيذ فإنها ستؤدي إلى مسرَّة القلب. هكذا كان الحال مع راعوث؛ فلم يكن عندها تقدير للبلد الذي كانت تغادره، ولم تشعر بالأسف الفارغ. بل كانت "مُشَدِّدَة عَلَى الذَّهَاب". وهكذا صار أن "ذَهَبَتَا كِلْتَاهُمَا حَتَّى دَخَلَتَا بَيْتَ لَحْمٍ". يحسن بنا نحن أيضاً، مدفوعين بالإيمان والمحبة والرجاء، أن ننسى الأشياء التي وراءنا، وأن نتطلّع إلى الأمور التي أمامنا، ونسعى للحصول على المكافأة التي سيُقدِّمها لنا الله في الأعالي بالمسيح يسوع.

٥.

هذا الجزء من قصة راعوث يُختتم بشكل طبيعي باقتبال النفس المُسْتَرَدة المتجددة. لقد رأينا مرارة طريق المرتد وتعقّبْنا آثار طريق الرب الكريمة السمحة في التجديد والاسترداد. وعلينا الآن أن نتعلّم أن الجواب الصحيح على استعادة الرب لنا يوجد في القبول في شعب الرب. وبعيون تتجه نحو أرض الله وشعب الله، يحثُّ القديسُ المتجددُ والنفسُ المتجددة حديثاً الخُطى إلى أن يأتي إلى بيت لحم. وحدث عندما جاؤوا إلى بيت لحم أن "الْمَدِينَةَ كُلُّهَا تَحَرَّكَتْ بِسَبَبِهِمَا". يا للأسف! علينا أن نقرّ أن هناك قوة ضئيلة للتجديد اليوم. أليس السبب هو ضعف الشغف والمحبة عند ونحو أولئك الذين يُخفِقون. إن القديسين يخفِقون، والشر يمكن رفضه، وصانع الإثم يمكن أن يتم التعامل معه على نحو صحيح، ولكننا قلّما "نتحرّك لأجلهم"، ولذلك ضئيلةٌ هي فرصة أن يجد المرتدُّ طريقَ العودة إلى شعب الله. إن العالم ملئ بالقلوب الحزينة والمنكسرة، والقديسين التائهين، ونادراً ما تتم استعادتهم أو تجددهم، وقلّما نتأثر بما يجري لهم.

ما من شيء سيُكمل عمل التجديد في النفس مثل الشغف والمحبة في القديسين نحو تلك النفس. لقد كان الحالُ هكذا مع نعمي. الاستقبالُ المُحِب الذي تلقّتْهُ يفتحُ قلبَها ويدفعها إلى الإقرار الجميل الذي يشهد على حقيقة تجددها.

١– إنها تقرّ بأنها ومهما أخفقت، فإن الرب لم يتخلَّ عنها. وفي حديثها عن أيام تيهها تعترف بأن "الْقَدِيرُ قَدْ كَسَّرَنِي". ربما نتوقف عن التعامل مع الرب، ولكنه يحبنا جداً ولا ينقطع عن التعامل معنا. وهذا أمر

حسن، فكما يقول الرسول (بولس): "إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ" (عبرانيين ١٢: ٧، ٨).

٢- تعترف نعمي بأنه إن تعامل معنا الله خلال ارتدادنا، فإن تعامله معنا سيكون مراً جداً، ولذلك فقد قالت أن الله تعامل معها "بمرارة". ومن هنا يذكِّرنا الرسول بولس أيضاً بأن "كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ" (عبرانيين ١٢: ١١).

٣- وتضع نعمي كلَّ اللوم على نفسها بسبب تيهها. فتقول: "ذَهَبْتُ" (أي خرجتُ). ونقرأ في القصة أنه "ذَهَبَ رَجُلٌ.... لِيَتَغَرَّبَ فِي بِلاَدِ مُوآبَ"، ولكنها لا تنطق بأية كلمة إدانة لزوجها. فلا تلوم الآخرين، ولا تبرر لنفسها.

٤- إن كانت نعمي تلقي اللوم على نفسها في تيهانها، فإنها بحقٍ تنسب فضل تجديدها للرب. فيمكنها أن تقول: لقد "أَرْجَعَنِيَ الرَّبُّ". أنا خرجتُ والرب أعادني. وعلى نفس المنوال أمكن لداود أن يقول: "يَرُدُّ نفسي" (مزمور ٢٣: ٣). لعلنا نعتقد في لحظات ثقتنا بأنفسنا وإحساسنا بأهليتنا الذاتية أننا يمكن أن نعود إلى الرب عندما نفكر بشكل جيد، ولكن ما من مرتدٍ سيعود إلى الرب ما لم يعيدُه الربُّ إليه. لقد كانت صلاة الرب لبطرس قبل أن يخفق، ونظرة الرب له عندما أخفق، قد أثّرتا على قلب بطرس وقادتاه إلى التجدد. لقد تبعه بطرس من بعيد، وأخفق، ولكن الرب هو الذي أعاده إليه.

٥- إضافةً إلى ذلك، فإن نعمي لا تقول ببساطة أن الرب أعادها بل "أعادني الرب إلى البيت". عندما يعيدُ الربُّ النفسَ، فإنه إنما يعيدُها إلى كل الدفء والمحبة التي في دائرة البيت. عندما وجد الراعي الخروف الضال، أتى به إلى بيته ذاته. فكأنه كان يقول: "لا يليق لخروفي سوى بيتي على أقل تقدير".

٦- ومع ذلك، كانت لديها تلك الفكرة المؤثّرة التي جعلتها تقر بأن الرب هو الذي "أعادها إلى الديار". لقد "أَرْجَعَنِيَ الرَّبُّ فَارِغَةً". إننا لا ننجز أي تقدم روحي في الأيام التي نكون فيها بعيدين تائهين عن الرب. إن الرب يتعامل معنا فعلياً ليخلِّصَنا من الكثير من المعوقات التي تعرقل تقدُّم النفس. وكما نعمي فإن علينا أن نقر: "إِنِّي ذَهَبْتُ مُمْتَلِئَةً وَأَرْجَعَنِيَ الرَّبُّ فَارِغَةً". وكما الحال مع جميع الذين يضلّون أو يتيهون، كان على نعمي أن تعاني. وببركة عظيمة تمت استعادتُها؛ وبالحقيقة تعود إلى ديارها، شعب الرب وأرض الرب، ولكنها لا تستعيدُ أبداً زوجها أو ابنيها. لقد ذهبوا إلى الأبد. لقد كانت تسعى إلى الراحة واليسر والخلاص من العناء والصراع؛ فلم تجد سوى الموت والخسران. لقد عادت خاوية الوفاض.

٧- ولكن إن كان الرب يعيدنا فارغين، فإنه سيرجعنا إلى مكان وفرة. فهكذا كان الحال مع نعمي، إذ أنها استُرِدَّت "فِي ابْتِدَاءِ حَصَادِ الشَّعِيرِ".

كم يعزي قلوبَنا أن نعرف أنه إن أخفقنا في مشاعرنا نحو بعضنا البعض لن يكون هناك أي إخفاق مع الرب. فما هي إلا هنيهة ونجد الربَّ يعيدُ إلى الديار خروفَه الضال البائس، وما من أحد سيكون ضالاً أو مفقوداً في نهاية الأمر. وعندها، وفي بيت المحبة الأبدي، سوف نستمتع بكامل حصاد السماء العظيم- فستكون "بداية" حصاد بركة وسرور ليس له انقضاء.

راعوث لاقوطة الحصيد

راعوث ٢

"وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لا تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لا تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لا تُعَلِّلْهُ وَنثَارَ كَرْمِكَ لا تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ الَهُكُمْ".

إن كانت بدايةُ قصة راعوث تصفِ النعمةَ التي تخلِّصُ، فإن هذا الجزء يُظهرُ النعمةَ التي تؤازر وتغذّي. إن نعمة الله لا تؤتي لنا بالخلاص وحسب، بل، وإذ تكون قد فعلتْ ذلك، فإنها تعلّمنا أن نحيا باتزان واعتدال (في المأكل والمشرب) وأن نعيش ببر وبقداسة في هذا العالم الحاضر. وإذ نأتي تحت تعليم النعمة، فإننا سنحرز تقدماً روحياً. إن هذا هو النمو في النعمة، أو النمو الروحي الذي يُصَوّرُ بشكل جذّابٍ في هذا الأصحاح.

إنها لبركةٌ حقاً للمهتدي الجديد أن يبدأ حسناً بانقطاعٍ محدد عن العالم وقبول طريق الإيمان في رفقة شعب الله. ولكن البداية الحسنة لا تكفي. إن كان علينا أن نحفظ أنفسنا في طريق الإيمان فيجب أن يكون هناك نمو في النعمة. يقول بطرس الرسول أنه إذا أراد المسيحيون أن يتمتعوا بـ "النِّعْمَة وَالسَّلاَم"، بكثرة، فعليهم أن يتمتعوا بكل الأشياء التي تلائم الحياة والقداسة، "هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ، وذلك فقط "بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَيَسُوعَ رَبِّنَا" (٢ بطرس ١: ٢– ٤). ولذلك فإنه يختم رسالته بأن يحرض المؤمنين على أن "انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ بطرس ٣: ١٨).

إن المؤمنين في كورنثوس، ورغم أنهم بدأوا بداية جيدة، كانوا بطيئين في إحراز تقدم روحي. لقد كانت تعوقهم الدنيويات وحكمة هذا العالم. والغلاطيون أيضاً بدأوا بداية جيدة، إذ نجد بولس الرسول يقول لهم: "كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ حَسَناً. فَمَنْ صَدَّكُمْ حَتَّى لاَ تُطَاوِعُوا لِلْحَقِّ؟" (غلاطية ٥: ٧). لقد أعاقتْهم الناموسية التي تأتّت عن اتباعهم لتعاليم خاطئة مضلّلة. ولذلك يبدو اليوم أن كثيرين يبدأون بداية جيدة ويعِدون الله بأن يكونوا مسيحيين مخلصين مكرسين، ولكن للأسف، فبعدَ برهة نجد أنهم لا يحرزونَ تقدماً كبيراً. إنهم لا ينمونَ في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. فيسقطونَ أمامَ وسائل الجذب التي في العالم ويصبحون دنيويين، أو يقعونَ تحت تأثير معلمين كذبة ويصبحون ناموسيين.

هذا الجزء من قصة راعوث سيكشفُ لنا أسرار النمو في النعمة. وفيما يلي دليلٌ على أن راعوث تُرى كحاصدة. في الآية ٢ نجدها تقول لنعمي: "دَعِينِي أَذْهَبْ إِلَى الْحَقْلِ وَأَلْتَقِطْ سَنَابِلَ". وفي الآية ٧ تقول للغلام: "دَعُونِي أَلْتَقِطْ وَأَجْمَعْ بَيْنَ الْحُزَمِ"، ومن جديد في الآية الأخيرة نعرف أنها "لاَزَمَتْ فَتَيَاتِ بُوعَزَ فِي الالْتِقَاطِ".

تُصوَّر راعوثُ عندئذ كحاصدة. ولكن ما هو المغزى الروحي من الحصاد؟ علينا أن نتذكر أن الأصحاح الأول ينتهي بإخبارنا بأنها كانت "في ابْتِدَاءِ حَصَادِ الشَّعِيرِ". لقد وجدت نعمي وراعوث أنفسهما في وسط وفرةٍ. ولكن مهما كانت وفرة الحصاد فإنه قبل جمعه سيكون بلا فائدة من حيث إطعام الجائع. إن على الحصادين واللاقطين أن يقوموا بعملهم وإلا فإنهم سيموتون جوعاً وسطَ وفرةٍ. وبالحصاد أمَّنت راعوث حاجاتها الذاتية، وحاجات نعمي، وكانت هذه مؤونة وافرة قد وضعها بين أيديهم سيدُ الحصاد.

أفلا نرى الآن أن الحصاد الروحي يرمزُ إلى اقتبال المؤمن للبركات الروحية التي أعطاها لهُ الله بشكلٍ حق. في تاريخ إسرائيل أعطى الربُ ذلك الشعب الفرصة بأن يستقرَ في أرضٍ ذات وفرةٍ وذات امتداد شاسع، ومع ذلك فقد قال الله: "كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى". كان عليهم أن

يتملكوا. وأمكنَ لبولس أيضاً أن يقول بكل ثقة أن المؤمنين يتباركون بكلِّ البركات الروحية في السماويات في المسيح، ولكن هذا ما كان يعيقهُ عن أن يُصلي لأن يكون هناك عمل خاص للروح القدس في الإنسان الداخلي، لكي يُدركَ المؤمنون ما عرض وطول وعمق وارتفاع كل هذه البركات الروحية.

لقد كان يوماً رائعاً في تاريخنا عندما دعانا الربُّ إليه، وعلِمْنا أن خطايانا كانت قد غُفرت، وخُتمنا بالروح القدس ولذلك فقد صرنا ملائمينَ لأن نصيرَ شركاء في نصيب القديسين في النور؛ ورغم أنه ما كان يمكن أن يكون هناك ملاءَمة في النمو مناسبة للمجد، ومع ذلك فإن الرسول بولس يسعى نحو النمو في المعرفة الحقة لله (كولوسي ١: ١٠). ومع ذلك، وللأسف، يا لنا من حصادين بؤساء تعساء. كم هو ضئيلٌ مدى دخولنا إلى غنى المسيح الذي لا حدَّ لهُ.

٢.

لماذا نحنُ حصادون بؤساء تعساء؟ ليس الأمر هو في أن ذلك الحصاد يتطلبُ شروطاً ليست موجودة لدينا دائماً. إن هذا يَظهرُ جلياً واضحاً عندما نلاحظ المواصفات التي جعلت راعوث حصّادةً رائعةً ممتازة.

فأولاً تميزت بروح التواضع والخضوع. إنها تقول لنعمي: "دعيني أذهب"، ومن جديد تقول للخدام: "دعوني ألتقط". لم تتصرف بشكلٍ منفصل عن الآخرين الذين كانوا أكبر منها سناً وأكثر منها خبرةً. لم تحتقر أي إرشاد أو توجيه أو استشارة. لم تُعانِ من إرادة منقسمة، تقودها لفعل ما تراهُ هي مناسباً في عينيها. أمكن لبطرس أن يقول: "كَذَلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ، وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (١ بطرس ٥: ٥). إن الخضوع والتواضع مرتبطان معاً بروحِ الله. الإنسانُ المتعجرفُ المتكبر لا يحبُّ أن يخضع لأحد. والإرادةُ المنقسمة هي أعظمُ وأكبر عائق أمام النمو في النعمة.

ثانياً، تميزت راعوث بالكد والاجتهاد. فكما نقرأ في الآية ٧: "جَاءَتْ وَمَكَثَتْ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الآنَ. قَلِيلاً مَّا لَبِثَتْ فِي الْبَيْتِ". ومن جديد نقرأ في الآية ١٧ أنها "الْتَقَطَتْ فِي الْحَقْلِ إِلَى الْمَسَاءِ". أليسَ هناك نقصٌ كبيرٌ عند المؤمنين في الكد والاجتهاد في أمور الله؟ إننا نكدُ ونجهدُ كثيراً في أمور هذا العالم، ولكن، للأسف، أمورُ الرب تشغلُ فقط بضعة لحظات من حياتنا. هل نجتهدُ في دراسة الكلمة؟ هل نجتهدُ في الصلاة؟ قد ننشدُ أو نطلب أن لا تشغل المشقات أو المصاعب الكثير من حياتنا، ولكن السؤال لا يزالُ قائماً هو: كيف نمضي الوقت القصير المتوافر لدينا؟ في عبرانيين ٦: ١١ يحرض الكاتب (بولس الرسول) على الكد والاجتهاد ثم يضيف قائلاً: "لاَ تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالإِيمَانِ وَالأَنَاةِ يَرِثُونَ الْمَوَاعِيدَ". إن كنا نرغبُ في الدخول إلى التمتع بميراثنا علينا أن نكونَ مجتهدينَ. قد نتيهُ قليلاً إذا ما أحرزنا تقدماً ضئيلاً في النفس عندما نجدُ وقتاً لنقرأ الأخبار اليومية، والأدب الخفيف في هذا العالم، ومع ذلك فإننا لا نجدُ وقتاً لنحصدَ الغنى الذي في كلمة الله المقدسة.

ثالثاً، كانت راعوث مثابرة. لم تكن مجتهدة في يوم ومتكاسلة في آخر، بل "لاَزَمَتْ فَتَيَاتِ بُوعَزَ فِي الالْتِقَاطِ حَتَّى انْتَهَى حَصَادُ الشَّعِيرِ وَحَصَادُ الْحِنْطَةِ". يوماً بعد يومٍ كانت تلتقط الحصيد إلى أن انتهى حَصَادُ الشَّعِيرِ وَحَصَادُ الْحِنْطَةِ. إن أهل بيريةَ لم يطرِ بولس عليهم بشكلٍ خاص لأنهم كانوا يفحصون الكلمة، بل لأنهم كانوا يفعلون ذلك كل يوم (أعمال ١٧: ١١). لعلهُ من السهل أن نجاهد أو نجتهد ليومٍ واحد، ولكن أن نجاهد

يوماً بعد يوم يتطلبُ مثابرةً. "كل يوم" هي كلمةٌ صعبةٌ وتضعنا على المحك. قال الربُّ: ليحمل التلميذُ صليبَه كل يوم. إنه لأمرٌ سهلٌ نسبياً أن نبذلَ جهداً كبيراً لنقومَ بتضحيةٍ بطوليةٍ ما، ولكن أن نثابر على ذلك يوماً فيوماً متبعين المسيح هو المحك. ليسَ الإنسانُ الذي يبدأ بشكلٍ جيد هو الذي يفوزُ بالسباق بل هو الإنسانُ الذي يثابر ويستمر.

وأخيراً، نقرأ أن راعوث "خَبَطَتْ مَا الْتَقَطَتْهُ" (الآية ١٧). لا يكفي أن نلتقط الشعير والحنطة، بل يجب أن تُخبط. الحق الذي ندركه من خلال دراستنا الخاصة، أو من خدمة الآخرين، يجب أن تصبح موضوع صلاة وتأمل لنرى إذا ما كانت تساعد في النمو الروحي. إن الاكتفاء بمعرفة الحق سوف يؤدي إلى الانتفاخ. يجب أن نتمتع بها في شركة مع الرب إن أردنا أن تؤدي إلى المزيد من معرفة الرب.

ولذلك فلأجل الحصول على النمو الروحي يجب أن تكون النفس في حالة خضوع وكد واجتهاد ومثابرة وتأمل.

إضافة إلى ذلك، حالة نفس الفرد، ورغم أنها تأتي بالدرجة الأولى، إلا أنها ليست كل شيء. هناك المعونة التي نستمدها من آخرين تساعدنا على التقدم الروحي. وهذا نراه بشكلٍ مذهل واضح في الشخصيات المختلفة التي تمرُّ أمامنا في هذا الأصحاح. فنعمي، والخادمات، والحصّادون، والخادم المشرف على الحصّادين، وأخيراً بوعز الرجل المقتدر ذي الثروة، جميعهم يمرون أمامنا، ونرى في كلٍ منهم علاقة مع راعوث. بطرقٍ مختلفة يساعدونها جميعاً على أن تلتقط الحصاد، وفي ذلك نرى الطرق المختلفة التي يضعها المسيح أمامنا ليحث على النمو الروحي بالنعمة لشعبه المحبوب.

٣.

كانت نعمي تعرف بوعز منذ زمنٍ بعيد، وكانت تقدر أن تنصح وتعلم وترشد راعوث. وهكذا نجد الآن أولئك الذين ساروا مسافةً طويلة على الطريق، في علاقة مع المسيح؛ ورغم أنهم ربما أخفقوا كثيراً (مثل نعمي) فمع ذلك تأهلوا بالخبرة ليصيروا قادرين على أن يعلّموا ويرشدوا القديسين الأصغر سناً. لا تبدي نعمي موهبة إلا فيما ندر في التعليم أو الكرازة بل أولئك القديسين الطاعنين في السن، الذين نقرأ عنهم في الأصحاح الثاني من رسالة تيطس، الذين هم مثال للآخرين، "معلّمين للأمور الحسنة"، وقادرين على تقديم المشورة المحِبة للنساء الصغيرات السن. من روح هذه الآيات، نعمي، وإذ لا تجدُ صعوبات أو عراقيل في طريقها، تقول في الحال: "اذهبي يا ابنتي". إنها تشجع راعوث على هذا العمل السعيد. إضافة إلى ذلك، فلدى عودة راعوث من أعمالها تُدرك بسرورٍ تقدمها، إذ نقرأ "رَأَتْ حَمَاتُهَا مَا الْتَقَطَتْهُ" (الآية ١٨). وفوق ذلك فإنها تهتم بنفسها بتقدم راعوث، إذ تسألها: "أَيْنَ الْتَقَطْتِ الْيَوْمَ وَأَيْنَ اشْتَغَلْتِ" (الآية ١٩). أخيراً تُنير راعوث بما يخص بوعز وتقدم لها مشورة محِبة تتعلق بالتقاطها بالحصاد (الآيات ٢٠، ٢٢). لعلنا نفهم من روح سلوك نعمي ضرورة أن يُعنى القديسون الكبار بالأصغر سناً، وأن يشجعوهم، وأن ينتبهوا إلى تقدمهم الروحي، وأن يتابعوا فائدتهم الروحية، وأن يعلموهم في معرفة المسيح، وأن يرشدوهم فيما يخص التقاطهم الحصاد.

٤.

إن الفتيات الخادمات يساعدن أيضاً في عمل التقاط الحصاد السار هذا. نجدهن أمامنا في الآيات ٨، ٢٢ و ٢٣. إنهن الأصحاب اللواتي ترافقهن راعوث خلالَ عملها في التقاط الحصاد. أفلا يرمزون، صورياً، لتلك الرفقة السعيدة والشركة بين شعب الله الذين يساعدون جداً في الحث على النمو الروحي؟

يحذِّر بوعز راعوث قائلاً لها: "لاَ تَذْهَبِي لِتَلْتَقِطِي فِي حَقْلٍ آخَرَ، وَأَيْضاً لاَ تَبْرَحِي مِنْ هَهُنَا، بَلْ هُنَا لاَزِمِي فَتَيَاتِي". هناكَ حقولٌ أخرى وفتياتٌ أخريات، ولكنهم غرباء بالنسبة لبوعز. سواء كنا حديثي الإيمان أم متقدمين في، يجدرُ بنا أن ننتبه إلى التحذير الذي يقدمهُ بوعز. ذلك لأن العالم يشكّلُ حقل جذبٍ ويمكن أن يقدم رفقة سارة في بعض الأحيان، ولكن حقول العالم الجميلة وصحبة العالم الفارغة التي لا طائل تحتها ليست من المسيح. في أيام الرسل لم يقدم العالم لهم سوى سجن، ولكن عندما أُطلق سراحهم ذهبوا إلى "رفقاءهم". بدافع الضرورة يجب علينا أن نتواصل مع أناس في العالم من خلال علاقات العمل وقضايا هذه الحياة، ولكن ليست هذه هي الحلقة التي نستمتعُ فيها بالصحبة الجميلة ونحرزُ تقدماً روحياً. هذا وحده يمكن أن نجدهُ في "جماعتنا الخاصة"، ألا وهي الصحبة مع شعب الرب. في أيام المسيحية الأولى، علاقة الصحبة والشركة بين الله وشعبه التي لا تنفصم نتجَ عنها "قوة عظيمة" و"نعمة كبيرة". في عبرانيين ١٠ يحضّنا بولس الرسول قائلاً: "لْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ". ليس القديسون هم مصدر الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ بل رفقة القديسين بالتأكيد هي التي تشجعُ على الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ. إن يوم دينونة هذا العالم يقترب، ولذلك فيحسن بنا أن نتشاركَ مع جماعة هذا العالم قليلاً، وأن نجد نصيبنا السعيد مع "فتيات بوعز"، أولئك الناس غير المنجسين الذين حافظوا على بياض ردائهم. وكلما اقترب النهار كلما دنونا أكثر من بعضنا البعض.

٥.

اللاقطون أيضاً يتشاركون في الخدمة مع راعوث. يمرون أمامنا في الآيات ٤، ٥– ٧، ٩ و ٢١. أولئك كانوا خدام لبوعز ويظهرون لنا بشكلٍ حيوي السمات التي يجب أن تميز خدام الرب الذين يكرسون أنفسهم للخدمة في مساعدة شعب الله.

إن الحاجة الضرورية الأولى بالنسبة لكل خادم للرب هو حضور الرب. ولذلك نجد أن بوعز يُحيّي اللاقطين عنده بالتحية الجميلة "الرَّبُّ مَعَكُمْ" (الآية ٤). وبنفس الروح نقرأ في الإنجيل: "وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ" (مرقس ١٦: ٢٠).

ثانياً، حتى تُنجز خدمة بوعز بشكلٍ فعّال يجب أن يكون هناك خضوع للخادم المشرف على اللاقطين. لسنا في حاجة فقط إلى الرب ليكون معنا، بل أيضاً لسيادة الروح القدس، الأقنوم الإلهي الذي يمثلهُ سبقياً الخادمُ الغفلُ الاسم (الآية ٥).

ثالثاً، اللاقطون يمضون أولاً وتتبعهم راعوث، وهكذا أمكنها القول: "دَعُونِي أَلْتَقِطْ وَأَجْمَعْ بَيْنَ الْحُزَمِ وَرَاءَ الْحَصَّادِينَ". يميز الكتاب المقدس أن هناك في وسط شعب الله من يقود الناسَ روحياً، أولئك الذين نقلوا إلينا كلمة الله والذين يشكّلون مثالاً في الإيمان علينا نتبعهُ. فهؤلاء علينا أن نُطيع ولهؤلاء يجب أن نخضع، لأنهم يسهرون على أنفسنا (عبرانيين ١٣: ٧، ١٧).

رابعاً، هؤلاء الشبان– خدام بوعز– يستخرجون الماء من الآبار. لقد كان امتيازاً لراعوث أن تشربَ الماء ولكن مسؤولية استخراج الماء كانت تقع على الشبان. ليس الكل مدعوين أو مؤهلين ليستخرجوا ماءً من آبار الله العميقة، ولكن يمكن للجميع أن يشربوا من الماء عندما يوضعوا في آنيةٍ تلائمُ كفايتهم. إن الماء في البئر ليس في متناول الكثيرين؛ أما الماء في الآنية فمتاحٌ للجميع. ومن هنا كان الأمرُ لراعوث أن "اذْهَبِي إِلَى الآنِيَةِ وَاشْرَبِي". كانَ على تيموثاوس أن "يتأمل في هذه الأمور" لكي ينشغل بها كلياً. بالتأكيد كان هذا استخراج الماء من البئر. ولكن "فائدته" كانت في "إظهاره للجميع". كان هذا الماء في الآنية المتاح للجميع (١ تيموثاوس ٤: ١٥).

خامساً، لكي يكون اللاقطون مؤهلين لخدمتهم فإنهم يتلقون تعليمات محددة خاصة من معلمهم. "أَمَرَ بُوعَزُ غِلْمَانَهُ: «دَعُوهَا تَلْتَقِطْ بَيْنَ الْحُزَمِ أَيْضاً وَلاَ تُؤْذُوهَا. وَأَنْسِلُوا أَيْضاً لَهَا مِنَ الْحُزَمِ وَدَعُوهَا تَلْتَقِطْ وَلاَ تَنْتَهِرُوهَا»" (الآيات ١٥– ١٦). إن الحاجة الخاصة للأفراد تستدعي تعليمات وتوجيهات وإرشادات خاصة من الرب. يجب أن يكون الخادمُ قريباً جداً من المعلم أو السيد، خلال سير عمل الخدمة، لكي يعرف كيف يُلقي حفنة خاصة، لأجل حاجة خاصة، دون "توبيخ" وبدون "تأديب". إن الرب في هذه، كما في كل الأشياء الأخرى، هو مثلنا الأعلى الكامل. في يوم القيامة، عندما يبعثُ برسالة إلى بطرس بقوله: "اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ..." أما كانَ يُطلق بكمالٍ لا متناهٍ "حفنة قصدٍ" لحروفٍ ضالٍ بائس، بدون "توبيخ" وبدون "تأديب" (مرقس ١٦: ٧).

وأخيراً، جهدُ عمل اللاقطين سينهي الحصاد، إذ يأمرُ بوعز راعوث أن تلازم غلمانهُ، إلى أن "يكمِّلوا جميع حصادي" (الآية ٢١). وكما كان الحال مع خدام بوعز سيكون مع خدام الرب، إذ أن الرسول لجأ إلى الرجاء المجيد الموضوع أمامنا ليحثَّ الخدام في خدمتهم. "إِذاً يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ" (١ كورنثوس ١٥: ٥٨).

٦.

خادمُ بوعز، المشرف على اللاقطين، لهُ مكانته أيضاً ودوره في تقدم راعوث في عملية التقاط الحصاد. إنه غُفل الاسم وقلّما يُرى ومع ذلك فهو خلف كواليس كل شيء، لصالح بوعز، فيتحكم بكل لاقطٍ وحاصدٍ في حقل بوعز. إضافة إلى ذلك، فإنه يوصلُ راعوث إلى اتصال مع بوعز، ويتحدث مع بوعز بشأن راعوث. إن الخادم أيضاً على توافقٍ كاملٍ مع فكر بوعز. إنه يطيعُ بوعز في الحق، ولكنهُ لا ينبس ببنت شفه بخصوص انتقاص قدرها، ويتوقع أن يوافقَ بوعز على تشجيع راعوث على الالتقاط في حقول بوعز. إنه يمثّل بالتأكيد أقنوم الروح القدس العظيم ذاك الذي جاء من قِبَل المسيح الممجد باسم المسيح ليُظهر اهتمامات المسيح. إنه ذاك الذي لا يتحدث من تلقاء ذاته، غير المنظور في العالم، ولكنهُ يسودُ ويتحكم بخدام الرب، وبعمله المجيد في النفوس يأتي بهم إلى المسيح. إنه ذاك الذي جاء إلى الأرض مُرسلاً من المسيح، والذي يفكرُ ويتصرفُ بتوافقٍ كاملٍ مع فكر وقلب الآب والابن.

٧.

نقول في نهاية الأمر أن بوعز يمثل المسيح من جهتين: أولاً في مجد شخصه وعمله، وثانياً في تعامله السمح معنا فرداً فرداً.

يتم تعريف بوعز شخصياً على أنهُ "ذو قرابة" و "رجلاً مقتدراً ذي ثروةٍ". إن كلمة "قريب" التي تُستخدم كثيراً في سفر راعوث، تُترجم في مكان آخر بكلمة "فادي" هذه الكلمة التي تُعطي الأهمية الحقيقية لخدمة القريب. فالقريب كان له الحق والقدرة على أن يفتدي أخاه وأرثَ أخيه، إذا ما وقعا في أيدي غريب.

بالسقوط فقدَ الإنسانُ كل حقٍ بإرثٍ أرضي، وصار نفسهُ تحتَ سلطان العدو، وكخاطئ أثيم مذنب صارَ عرضةً للموت والدينونة. ليس له قدرة على أن يفتدي نفسه أو أن يفتدي الأرض من سطوة الخطيئة والموت أو الشيطان. إنهُ في حاجة إلى فادٍ، شخصٍ لديه الحق والقوة أيضاً على الفداء. المسيح هو الفادي العظيم، الذي كان بوعز مجرد رمزٍ له. إنه يفتدي شعبهُ بدفع الثمن وبقوة. الثمن الذي دفعهُ كان دمهُ نفسه لأجلنا، "عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ". إضافة إلى أنه افتدانا بقوةٍ، إذ لم يكن فقط بدمه المسفوك، بل أيضاً بالقيامة، فإنه أبطل قوة الموت والقبر. وإذ أننا قد افتُدينا بالدم، فإننا نترقب أن نُفتدى بالقوة، في تلك اللحظة عندما يُحرر كل هذه الأجساد الفانية من أي أثرٍ للفناء بتحويل أجساد مذلتنا، مُشكلاً إيانا على هيئة جسد مجده بحسب الأعمال التي بها يقدر أن يُخضع كل الأشياء لهُ. وأخيراً سيكون لنا الميراث– الممتلكات الباهظة الثمن التي اشتراها– والتي سيفتديها من سلطان الخطيئة والموت والشيطان، والتي سنتمتع بالشركة بها مع المسيح لمديح مجده (أفسس ١: ١٤).

.٨

إضافة إلى ذلك، لدينا في بوعز، ليس فقط إعلان مسبق عن أمجاد فادينا العظيم، بل كشفٌ جميل للطرق الرائعة التي يتعامل بها الرب معنا كأفراد. إنه امتياز لنا، ليس فقط في أن نعرف الحق عن شخصه وعمله، بل أيضاً أن نختبر تعاملاته الكريمة الرائعة التي يقودنا بها إلى معرفة نفسه. لو أن كل المؤمنين يسعون لعلاقة أكثر تحديداً مع المسيح سرياً– تاريخ علاقةٍ لا يمكنهم أن يقولوا الكثير عنها للآخرين– بل تكون معروفة للمسيح فقط وللنفس التي لا يتدخلُ فيها أي غريب.

لدينا ظل عن هذه التعاملات الشخصية مع النفس من خلال الطرق السمحة التي يتعامل بها بوعز الثري مع راعوث الغريبة.

هذه الطرق تتميز بالنعمة والحق، مستحضرة أمامنا ذاك الذي جاء بالنعمة والحق. في ضعفنا قد نظهر النعمة على حساب الحق، أو نحافظ على الحق على حساب النعمة. مع المسيح هناك هذا التعبير اللا متناهي عن النعمة مع المحافظة الكاملة على الحق.

بنعمة مؤثرة يضع بوعز كل ثرواته تحت تصرف الغريبة التي من يوآب– تلك التي، بحسب حرفية الناموس، ما كان يحق لها أن تدخل إلى جماعة الرب حتى الجيل العاشر (تثنية ٢٣: ٣). إن حقوله، وخادماته، وغلمانه، وآباره، وشعيره، كلها تحت تصرف راعوث. إن لها الحق بأن تبقى في حقوله، وتلازم فتياته، وتلتقط وراء غلمانه، وتشرب من بئره. إنه لا يقول شيئاً عن أصلها عن كونها غريبة أو عن فقرها. ولا يلومها ولو بكلمةٍ على الماضي، ولا يوجه أية تهديدات لها بخصوص المستقبل، ولا يلزمها بأي شيء حالياً، بل يقدم كل شيء لها بإنعام لا حدود له. وهكذا الحالُ من نواحٍ كثيرةٍ في تعامل المسيح مع الخطاة أمثالنا. إن النعمة تضع أفضل عطايا السماء في متناول المرأة عند بئر سيخار؛ النعمةُ أمرت سمك البحر من أجل رجل مليء بالخطيئة

مثل بطرس؛ والنعمة تفتح فردوس الله للص المحتضر. وهكذا باركتنا النعمةُ بكل غنى المسيح الذي لا حد لــهُ بدون أن نقدم مالاً أو ثمناً.

وبما أنَّنا نعرف جيداً غنى النعمة فلا يجب أن نعتّم لمعان الحقيقة. أجل، إن النعمة هي التي تســتدعي الحق. ليسَ من داعٍ لأن يذكّر بوعز هذه الغريبة بأصلها الوضيع. فهي نفسها تقر بالحقيقة، ولكنَّ نعمة بــوعز هي التي تستجرُّ الإقرار. تقعُ راعوث على وجهها أمام بوعز، فتمحو نفسها في إدراكٍ منها لعظمة الشــخص الذي تحظر أمامه، ذاك الذي تدين له بكل بركة. ومن هنا جاءَ سؤالها: "كَيْفَ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ". إذ أنها لا تجد في ذاتها ما تستحقُّ عليه هذا الإنعام. وفي طبيعتها لا تجدُ أيَّ حق لها على بوعز، إذ تقر قائلة: "أنا غريبةٌ". وحدها في حضرة نعمة بوعز تُعطيه مكانته الحقيقية وتأخذ مكانها الحقيقي، وبذلك تُذكّرنا بأمثلة أخرى ساطعة عن طرق النعمة والحق في أيام ربنا.

إن أعلمت النعمة الخاطئة البائس بالعطية المجانية في الماء الحي الذي يفيض إلى حياةٍ أبدية، فإنها أيضــاً تسترعي انتباههُ إلى الحق الذي فيها. كلمة يسوع تلك: "اذهبي وادعي رجلك" كانت تدلُّ على الحقيقــة إذ يُخبرها بكل الأشياء التي فعلتها، وتلك الكلمة الأخرى "وتعالي إلى هنا"، كانت فيها نعمةٌ تُرحب بها بكل المحبة التي في قلب الله. لقد كشفت لها الحقيقةُ رداءة قلبها، ولكن النعمة كشفت لها قلباً يعرفُ كل الأشــياء الــتي فعلتها ومع ذلك أمكن أن يحبها وأن يرحب بمجيئها إليه.

وهذا حدث في مناسبة أخرى، مع امرأة أخرى– تلك المرأة التي كانت غريبة مثل راعــوث، المــرأة الكنعانية– فمعها نرى عرض نفس طرق النعمة والحق. لقد كان التلاميذ ليحافظون على الحق على حســاب النعمة. فقد قالوا: "أقصها بعيداً". ولكن الرب لا يفعل هذا، بل إنه لن يستغني عن النعمة على حساب الحق. ولذلك فإنه يتعامل معها بطريقة جعلت الحق يخرج من شفتيها، إذ تأتي إلى الإقرار قائلةً: "«نَعَــمْ يَــا سَــيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا»". إنها تقر بالحقيقة بأنها مجرد كلب، ولكنــها ترى النعمة في الرب الذي لن ينكر عليها الفتات الذي يقدم للكلاب. النعمة في الرب تقودها للإقرار بحقيقــة ذاتها. فتنال مكافأة الإيمان، إذ أن الرب، الذي يسرُّ بهكذا رد على نعمته، يقول لها: "«يَا امْرَأَةُ عَظِيمٌ إِيمَانُــكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ»" (متى ١٥: ٢١– ٢٨).

مباركة بالفعل تلك اللحظة من تاريخ حياتنا، عندما نكون وحدنا في حضرة الرب فندرك رداءة قلوبنا في حضور نعمة قلبه. فنتعزى في هكذا لحظات إذ نعرف أنه مهما كنا أردياء، فإن ثمة نعمة في قلبه تمحو كــل ذلك.

فهذا ما جعل بوعز يعزّي قلب راعوث. فقد كانت قد أقرت بالحقيقة أن: "أَنَا غَرِيبَةٌ"، وكأن بــوعز يقول لها أنه ليس من داعٍ لأن تخبريني شيئاً عنك، لأني أعرف كل شيء: "إِنَّنِي قَدْ أُخْبِرْتُ بِكُلِّ مَا فَعَلْتِ" (الآية ١١). ليس من بقايا خوف في فكرها في أن ينكشف يوم ما شيء من ماضيها يجعل بوعز يسترد عطايا النعمة. ومن هنا تنطلق الكلمات عفوية على شفتيها أن: "قَدْ عَزَّيْتَنِي، وَطَيَّبْتَ قَلْبَ جَارِيَتِكَ". ما من شــيء يلمــس الفؤاد على هذا النحو، فيكسب القلب، أو يعزيه، كمثلِ أن ندرك في حضرة الرب أنه يعرف كل شيء ومــع ذلك يُحبنا.

٩.

على كل حال، هذا لا يختتم هذا الجزء من قصة راعوث. لقد تبدت النعمة في بوعز، وأقرت راعوث بالحق، وهذا ما أتى بالسلام إلى الوجدان والمسرة إلى القلب بالفعل، ولكن ليس هذا كل شيء. إن بوعز ليس مكتفٍ بمنح التعزية إلى راعوث وتركها بقلبٍ ممتلئٍ بالامتنان. وحتى لو كان هذا يرضي قلبها فإنه لن يرضي قلبه. إن كانت لا تتوقع بركات أكثر، فإنه كان لديه المزيد ليمنحه لها. ما كان بوعز ليقنع بدون صحبة تلك التي تحدث إلى قلبها. ولذلك قال: "تعالي إلى هنا". إذا تمعنا أكثر، ألا نجد أن الرب يتعامل معنا هكذا؟ إن كان يزيل مخاوفنا، ويتحدث إلى قلوبنا، ويمتلك مشاعرنا، فذلك لكي نكون في صحبة معه. إن المحبة لا ترتضي إلا برفقة المحبوب. ولهذه الغاية مات لكي نحيا معه بالكلية سواء كنا مستيقظين أم نائمين. فطوبى لنا إذا سمعنا وانتبهنا إلى دعوته الكريمة قائلاً: "تعالوا إليَّ".

وهذا ما حدث مع راعوث التي جالست جماعة من الناس ما كانت تعرفهم قبلاً. ولكن إذ "جلست قرب الحصادين" فإنها فعلت ذلك في صحبة بوعز، إذ نقرأ أنه: "ناولها فريكاً". طوبى لنا إذا جلسنا في رفقة شعب الله مدركين لحضور الرب نفسه. عندها بالفعل سنقتات من شعير الأرض. ومثلنا مثل راعوث سوف "نكتفي" و"نحتفظ بالبعض" (الآية ١٤). في حضوره تتغذى نفوسنا، وتشبع قلوبنا، وذلك القلب المكتفي سيجد امتلاءً فيعطي آخرين.

راعوث العروس

راعوث ٣ و راعوث ٤:

"الرب إلهك في وسطك جبار يخلص. يبتهج بك فرحاً. يسكت في محبته. يبتهج بك بترنم" (صفنيا ٣: ١٧).

الالتقاط، كما رأينا، هو الموضوع الأهم في الأصحاح الثاني. وما تبقى هو موضوع الأصحاحين الأخيرين. في الآية الافتتاحية من الأصحاح ٣، العبارة المستخدمة بما يخص راعوث هي: "يَا ابْنَتِي أَلاَ أَلْتَمِسُ لَكِ رَاحَةً لِيَكُونَ لَكِ خَيْرٌ". في الآية الختامية تستخدمُ بما يخص بوعز: "لأَنَّ الرَّجُلَ لاَ يَهْدَأُ حَتَّى يُتَمِّمَ الأَمْرَ الْيَوْمَ".

ما من شك أن هناك تقدم تدريجي في الحقائق المقدمة في الأصحاحات الأربع في سفر راعوث.

في راعوث ١، تمثل راعوث الإيمان، والمحبة والطاقة المكرسة لنفسٍ حديثة الاهتداء.

في راعوث ٢، تقدم راعوث صورة عن النمو في النعمة التي بها يحرز المؤمن نمواً روحياً.

في راعوث ٣، تسعى راعوث لراحة القلب التي وحدها تأتي بالرضا والإشباع إلى المؤمن.

في راعوث ٤، تجد راعوث الراحة مضمونة، وتصور الطريقة التي يتم الوصول بها إلى راحة الله بالنسبة للمسيح والمؤمن.

١.

الالتقاط في حقول بوعز، وتلقي البركات من يد بوعز، رغم أنه أمر سار وصحيح وحق، سوف لن يؤتي بالراحة والرضا الكاملين للقلب سواء لبوعز أو لراعوث. ما من شيء سيأتي بالراحة إلى القلب سوى الحصول على المحبوب. ولذلك ففي الأصحاح ٣ تسعى راعوث لتكسب بوعز، ويعمل بوعز لامتلاك راعوث. لا يمكن إرضاء الحب بدون تقدمات وهدايا، مهما كانت ثمينة؛ فيجب أن يكون هناك من يُعطي.

في تعاملته السابقة، أظهر بوعز نعمة وكرماً عجيبين مدهشين لراعوث. لقد وضع حقوله تحت تصرفها، إضافة إلى شعيره، وفتياته، وفتيانه. لقد أعطاها ماءً من بئره، وفريكاً من مائدته، وحفنات من المقاصد. ولكن كل هذه البركات لم تكن لترضي قلبها. لقد نالت ثقتها واجتذبت عواطفها. ولكن عندما تتحرك المشاعر فإنه ما من شيء يرضي القلب سوى تملك المحبوب. وهذا يصح على حد سواء في العلاقات الإلهية أو البشرية. إن النعمة والعطايا التي أضرم بها بوعز عواطف راعوث سوف لن تكون كافية لإرضاء هذه العواطف. بل تملك المبارك مانح الربكة وليس البركات هو ما يشبع القلب.

تلك هي طرق تعامل الرب مع المؤمنين. إنه يتعامل معنا لكي نرى أنه أعظم من كل البركات التي يمنحها. يا لسعادتنا عندما نعلم أن البركات بحد ذاتها لا ترضي. المسيح وحده يمكن أن يشبع القلب.

ألم يكن هذا هو الدرس الكبير الذي كان على بطرس أن يتعلمه في لوقا ٥؟ لقد منح الرب نعمة كبيرة مؤقتةً لبطرس. لقد أعطاه أكبر صيد من السمك على الإطلاق. لقد كانت بركة تفوق قدرة الاستيعاب في الشباك والقوارب، ومع ذلك ففي تلك العطية نفسها أظهر الرب لبطرس أنه أعظم من درجة تقدير بطرس للبركات التي منحه إياها؛ إذ في الحال نقرأ أنه "ترك كل شيء وتبعه". ماذا؟ ترك السمك الذي أعطاه الرب إياه؟ أجل، ترك كل شيء– الشباك، والقوارب، والسمك– وتبعه. إن كان يحق لبطرس أن يحتفظ بأي سمك اصطاده، فإنه ذاك الصيد من السمك الذي أعطاه الرب إياه. ولكنه ترك كل البركات ليتبع المبارِك.

هكذا الحال مع مؤمن متواضع آخر، مريم المجدلية. لقد كانت قد صارت كلياً تحت سيطرة الشيطان، إذ أن الرب كان قد أخرج منا سبع شياطين. لقد تباركت كثيراً ولكن المبارِك ربح قلبها. ولذلك، فعند القبر الفارغ، وإذ مضى التلاميذ إلى منازلهم، وقفت مريم خارجاً عند القبر تبكي. لم تكن البركات كافية لمريم؛ ما كانت لتجد راحة في هذا العالم بدون المسيح. معه كانت سعيدةً، وبدونه كانت بائسة.

على نفس المنوال، تعامل الرب مع الرجل الذي كان يوماً مجدفاً على المسيح ومضطهداً لقديسيه. وصلته النعمة وباركته بشكل جعل المسيح بالنسبة له أعظم من كل البركات التي أمكن للمسيح أن يعطيها. ورغبته نجد تعبيراً عنها في كلماته: "لأعْرِفَهُ" وأيضاً "لأربح المسيح". إنه لا يكتفي بأن يعرف كل البركات التي أعطاه المسيح الحق في امتلاكها؛ لابد له أن يعرف مانح البركات. إنه لا يقنع بأن ينال السماء في النهاية، بل يجب أن يربح ذاك الذي ضمن له السماء.

للأسف! كم نحن بطيئون عن معرفة أن المسيح، والمسيح وحده، هو الذي يستطيع أن يشبع رغبة قلبنا. أحياناً ننشد الراحة في بركاتنا الروحية. وتتوجه جهودنا لنبقي في نفوسنا على ألق فرح الاهتداء والتجدد، والغبطة بالبركات التي تلقيناها. ولكن في فرح الخلاص، كل هذه الجهود محكوم عليها بالفشل. فلا يمكننا، ولا يريد الله، أن نتمتع بالبركات بمعزل عن مانح البركة. كل بركة تلقيناها هي في المسيح، ويمكن أن نتمتع بها فقط في رفقة المسيح.

آخرون ينشدون الرضا في مجال خدمةٍ مزدهمة. ليتنا ننشغل جميعاً بخدمة الرب. ولكن إن ترافقت بسعينا لإيجاد الراحة، فإننا سنجد، مثل مَرْثَا، أننا انصرفنا عنه وحسب ولم نجد الراحة. إن الخدمة جيدة ولكنها لا تشبع القلب.

يسعى آخرون أيضاً وراء رضاً عابر في الأمور الباطلة في هذا العالم الزائل، فلا يجدون إلا أننا كلما أحطنا أنفسنا بأمور الأرض كلما ازدادت همومنا بدل أن نجد راحة القلب. ويصدق قول النبي: "قوموا واذهبوا لأنه ليست هذه هي الراحة. من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد" (ميخا ٢: ١٠). ومن جديد نقول أن المسيح وحده يمكن أن يرضي القلب.

وهكذا علينا أن نقر بأننا نحن المسيحيين لا نعرف إلا القليل عن رضا القلب الحقيقي. كل مسيحي حقيقي مُخلّص بالفعل، ولكن شتان ما بين أن نخلص وأن نحصل على رضا القلب. بما أننا نخلص بعمل المسيح فيمكننا أن نحصل على الرضا فقط في شخص المسيح. ونشعر بالراحة والرضا على مقدار تمتعنا بصحبة المسيح. الرضا الكامل والكلي سنعرفه فقط عندما يأتي ذلك اليوم العظيم على حسب القول "لأن عرس الحمل قد جاء، وامرأته هيأت نفسها" (رؤ ١٩: ٧). بطريقة غامضة، تأتي هذه الحقيقة العظيمة أمامنا في الجزء الختامي من قصة راعوث الجميلة. لقد أظهر لنا الأصحاحان الأولان بالصورة كيف تتيقظ فينا محبة المسيح. والأصحاحان الأخيران سيخبراننا كيف يتم إرضاء الحب.

٢.

دعونا أولاً نلاحظ التعليمات التي تتلقاها راعوث من نعمي (الآيات ١– ٥). تتعلم راعوث سر الراحة لكي يكون ملائماً لها. تُشاركها نعمي الأفكار حول بوعز في البداية فتخبرها عمن يكون، وعن عمله. فتقول: "أَلَيْسَ بُوعَزُ ذَا قَرَابَةٍ لَنَا" أي: "هو قريبٌ لنا ولنا دالة أو حقٌ عليه". ويمكننا القول أن المسيح هو لنا،

ألم يُصبح جسداً ويسكن بيننا، ومات من أجلنا، وإذ قامَ دعانا إخوة له؟ فيمكنه أن يقول لمريم: "اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ".

إضافة إلى ذلك، تُخبر نُعمي راعوث عما يجب أن تفعله: "اعْلَمِي الْمَكَانَ الَّذِي يَضْطَجِعُ فِيهِ". وإن قلنا هكذا، خلال الليل الطويل المعتم، فإن قريبنا، بوعز الخاص بنا، يضطجعُ عارياً. إن الرب يسوع ليس منشغلاً بالعصافة اليوم. سيتعاملُ بدينونة مع القش في يومٍ آتٍ. ولكن في هذه اللحظة هو منشغلٌ بخاصته، "إنهُ يستلقي عارياً". بمعنى آخر إنهُ يقدِّس الكنيسة، من حيث أنَّه يجعل الكنيسة بدون لطخة أو عيب أو شيء من هذا. الرب في الأعالي منشغلٌ بخاصتهِ من ناحية اليوم الذي سيأتي.

وإذ ذكّرت راعوث بحقها على بوعز، تبدأ نعمي بتعليمها حول الحالة الملائمة لرفقة بوعز. إذ ندرك أننا من عائلة المسيح وأننا ننتمي إليه وأنه لنا سنرغب بصحبته بالتأكيد. الإدراك الواعي لحضوره، على كل حال، يتطلب حالة ملائمة للنفس نجد سماتها في تعليمات نعمي إلى راعوث عندما تقول: "اغْتَسِلِي وَتَدَهَّنِي وَالْبَسِي ثِيَابَكِ".

الحاجة الأولى هي أن "اغتسلي"– أي أن ننقل فكرنا إلى غسل الأرجل في يوحنا ١٣. على يوحنا أن يغسل قدميه أولاً قبل أن يستطيع أن يتكئ على صدر يسوع. غسل الأرجل يجب أن يأتي قبل راحة القلب. كان على الرب أن يقول لبطرس: "إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ". إن لنا نصيباً فيه من خلال عمله، ولكن لكي يكون لنا نصيب معهُ لنتمتع بالشركة معهُ في المكان الذي مضى إليه، علينا أن نغسل أقدامنا، هذا الأمر الذي قلما ننتبه إليه. إننا نسمح لآثار النجاسة في العالم أن تدخل إلى داخلنا وأن تجعلنا نتعلقُ بالدنيويات الأرضية. إهمال غسل الأرجل يجعل النجاسة تزداد حتى تصبح عقولنا معوقة جداً، ومشاعرنا تُصبح متبلدة صماء فتصبح شركتنا مع المسيح نادرة أو معدومة. لننتبه إلى كلمات الرب التحذيرية: "إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ". ما كان يكفي لراعوث أن تقبل تعليمات الغسل؛ كان عليها أن تطبقها. هكذا أيضاً، الأمر الحسن الجميل في يوحنا ١٣ ليس في معرفة الحق بل في ممارسته.

وأكثر من ذلك: وإذ اغتسلت، على راعوث أن تدهن نفسها. فلا يكفي تطهير الفكر من الملوثات النجسة، بل نحتاج إلى أن نتذكر نصيحة الرسول التحذيرية: "كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ – إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هَذِهِ افْتَكِرُوا" (فيلبي ٤: ٨). الغسل أمر سلبي؛ إنه يزيل النجاسة. والدهن إيجابي، فهو يترك عطراً عذب الرائحة. لسنا في حاجة فقط لأن نطهر أفكارنا وعواطفنا من الملوثات، بل أن نجعلها تنشغلُ بأمور المسيح لكي يبقى حولنا عطِرُ المسيح الملائم لرفقة المسيح.

بعد الدهن، تقول نُعمي: "الْبَسِي ثِيَابَكِ". ألا يرمز هذا إلى الثِيَاب البُوص التي لبر القديسين العملي؟ إن كانت الآية ٨ من فيلبي ٤ تتحدث عن الدهن، أفلا تُعطينا الآية التالية الرد على اللباس– البر العملي؟ يقول الرسول هناك: "مَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، فَهَذَا افْعَلُوا". إن الكلمة المفتاح في فيلبي ٤: ٨ هي "افْتَكِرُوا"؛ والكلمة المفتاح في الآية ٩ هي "افْعَلُوا". لو كان لدينا أدنى أحساس بمحبة المسيح أفما كنا لنشتهي برغبة أشد صحبته وإدراك حضوره؟ إن هكذا رغبات ستقودنا إلى ممارسة عملية أكثر فتصبح أفكارنا وعواطفنا، كلماتنا وطرقنا، في منأى عن التأثيرات النجسة، وهكذا ننشغل بما يلائم المسيح.

أما وقد صارت راعوث ملائمة لتكون في حضرة بوعز، فإن سلوكها سيكون واضحاً. فعليها أن تضطجع عند قدمي بوعز وأن تصغي إلى كلماته، كما قالت لها نُعمي: "وَهُوَ يُخْبِرُكِ بِمَا تَعْمَلِينَ". ألا ينقلنا هذا بالفكر إلى ذلك المشهد الجميل في بين عنيا الذي يصفه لوقا ١٠، حيث نقرأ أن مريم "جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ". أليست هذه هي الحاجة الأعظم اليوم! في تسارع وعجلة سير الحياة قلما نجدُ وقتاً ننفرد فيه مع الرب لنسمع كلامه. ومع ذلك يقول الرب أن ذلك هو الأمر الوحيد الذي نحنُ في حاجة إليه، إذ "الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ". لعلنا نسمع صوت الرب من خلال نُعمي، ونجيب مثل راعوث أن "كُلَّ مَا قُلْتِ أَصْنَعُ". وهكذا "مغتسلين"، و"ممسوحين"، ولابسين، يمكننا أن نجلس في حضرة الرب و نسمع كلامه.

٣.

أما وقد وصلنا إلى اللحظة التي نجد راعوث فيها عند قدمي بوعز فإن القصة لا تلبث وبشكل طبيعي أن تتناول بوعز أكثر. إنه يعمل لإرضاء الرغبات التي نشأت عن حبه ونعمته، ولكنه أيضاً سيعملُ لإشباع رغبات قلبه. هذا كله يستحضر أمامنا السر الأعمق للمسيح ورغباته بخصوص كنيسته. ما من شيء سيرضي قلبه سوى أن يكون قديسوه معه ومثله. محبتهُ تستدعي أن يكون محبوبوه معه. إننا ذاهبون إلى السماء لأن المحبة تريدنا أن نكون هناك. ما كان ليرضي الأب أن يزيل الأسمال البالية عن الابن الضال المبذر وأن يسد حاجاته: كان لا بد له أن يجعله في صحبته الخاصة الملائمة لحضوره، بالحلة الأولى، والحذاء في قدميه، والخاتم في يده. وما كان ليرضي المسيح أن يحررنا من الدينونة وينقينا من خطايانا، بل كان لا بد أن نكون معه ومثله.

فلهذه الغاية جمعَ النفوس حوله وهو يجتاز في هذا العالم، إذ عندما دعا الإثني عشر كان ذلك بالدرجة الأولى لكي يكونوا "معه" (مرقس ٣: ١٤).

ولأجل هذا صلى الرب عندما قال: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا".

ولأجل هذا ماتَ، "حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ" (١ تس ٥: ١٠).

ولهذه الغاية يخدم شعبه الآن، فيغسل أقدامنا لكي نكون في شركة معه. وهذا القصد هو نصب عينيه عندما يسمح لأحد قديسيه أن يرقد أو يغادر أو يكون "مع المسيح".

وعندما يأتي الرب في نهاية الأمر في السحاب ليدعونا إلى ديارنا، فذلك لكي يستقبلنا إليه حيث يكون لكي نكون معه أيضاً، "مع الرب إلى الأبد".

وعندئذ ندرك أن تلك هي الحقيقة المباركة التي نتعلمها عند قدميه. ليس فقط أننا نريده، بل أنه يريدنا أيضاً. فلا عجب أننا نريده، ولكن العجب الأكبر أنه يريدنا. لقد تعلمت مريم عند قدميه أنه يستطيع أن يعوضنا لقاء كل خدمتنا ولكنه لا يستطيع أن يستغني عنا. "أَنَا لِحَبِيبِي وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ"، هي أعظم وأمجد حقيقة نتعلمها عند قدميه. وهكذا تخبرنا راعوث بنفس الحقيقة إذ عند قدمي بوعز عرفت، ليس فقط أنها تتوق إلى بوعز، بل أنه هو أيضاً يتوق إليها. وإذ عرفت ذلك، أمكنها أن "تجلس" وتنتظر أن يتمم بوعز الأمر (الآية ٨).

٤.

إنها ذات مغزى كبير الطريقة التي يضمن بها بوعز الراحة والرضا لقلبه ولقلب راعوث. فهناك ما يفعله مع راعوث، يليه العمل الذي يفعله لأجل راعوث. في الأصحاح ٢ يمتلك عواطفها؛ وفي الأصحاح ٣ يعطيها الجرأة المقبولة لتُشبعَ العواطفَ التي كسبها.

أولاً، وإذ رفضت الآخرين جميعاً وتبعت بوعز، هي متأكدة من البركة، "إنكِ مباركة" (الآية ١٠). وثانياً، يُزيل كل أثرٍ للخوف من قلبها، قائلاً: "لا تخافي" (الآية ١١). ثم تكون متيقنةً أنه سيتم التغلب على كل عائق أمام تحقيق كل مقصده (الآيات ١٢، ١٣). في هذه الأثناء يؤمن لها وبغنى كل ما تحتاج إليه. فيعطيها ستة من الشعير. عندما طلبت بركتها الخاصة حصلت على إيفة شعير (٢: ١٧). وعندما ناشدت بوعز نفسه تحصل على "ستة من الشعير". ولكن لا تزال تبقى "ستة" فقط وليس سبعة، العدد الكامل. ما من كمية من الشعير يمكن أن تعطيه رضاً كامل.

هكذا يتعامل الربُ مع خاصته اليوم. أفلا توجد بركةٌ خاصة بأولئك الذين تعلموا السر العظيم في أن الرب يريدنا لنفسه؟ ألا يزيل هذا كل خوف، ويعطينا جرأة مقدسة، ويطمئن قلوبنا إلى أنه ما من عائق يمكن أن يقف أمام طريق تحقيق هدفه لأجلنا؟ في هذه الأثناء، إنه يسد كل عوز لدينا ويمكّننا هكذا، مثل راعوث، من أن "نمكث" في المعرفة بأنه لن يستريح إلى أن ينهي ما قد بدأ به. "الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (فيلبي ١: ٦).

٥.

في الأصحاح الأخير نعرف كيف سعى بوعز من أجل راعوث. في هذا العمل لم يكن لراعوث أي نصيب. يبدو بوعز لوحده في المشهد عندما يصعد "إلى الباب" (الآية ١). عند الباب كانت تُقام العدالة. لأن العدل يجب أن يُجرى قبل أن يمكن لراعوث أن تتبارك، أو أن يتحقق هدف بوعز. عند الباب يُسوي بوعز ويحل كل القضايا التي يمكن أن تنشأ. يتم استدعاء عشرة شهود. يُطلب إليهم أن يجلسوا، ولا يكون لهم دور سوى الشهادة على عجز القريب الأول، ولكن، وفي نفس الوقت، يشهدون بأن مطالبه قد تم الاعتراف بها وتحقيقها. ألا يصور لنا هذا المشهد صورة العمل القدير لفادينا العظيم الذي "صعد إلى الباب وحده"، ألا وهو مكان الدينونة؟ وهناك، على الصليب، قام بتسوية كل المسائل بين المؤمن والله. وهناك أيضاً أظهر بشكل تام عدم مُلاءمة أو كفاية الناموس ليحلَّ قضيتَنا، في حين تم الإقرار والاعتراف بالمطالب العادلة لها.

وهكذا زال كل عائق، وجاء يوم الزفاف، عندما أخذ بوعز راعوث امرأة له. "فَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِي الْبَابِ وَالشُّيُوخُ: نَحْنُ شُهُودٌ". إنهم يشهدون على البركة لراعوث، ولكن ينسبون القوة والقدرة والشهرة لبوعز؛ إذ يقولون لبوعز: "اصْنَعْ بِبَأْسٍ فِي أَفْرَاتَةَ وَكُنْ ذَا اسْمٍ فِي بَيْتِ لَحْمٍ" (الآية ١١).

هذه الخاتمة السعيدة لقصة راعوث تُلقي ظلاً واضحاً على ذلك اليوم العظيم الذي تُزَف فيه الكنيسةُ إلى المسيح، والذي إليه نتطلع– اليوم الذي نقرأ عنه بأن "عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا". كما ينظر النبي يوحنا إلى هذه الرؤيا العظيمة يسمعُ من جديد وكأنه تسبيح "الشعب الذي في الباب والشيوخ"، رغم أن التسبيح قد ارتفع الآن فصار ترنيمة عظيمة عن القدرة اللا متناهية، إذ سمع يوحنا صوت حشدٍ عظيمٍ، ومعه صوت مياه كثيرةٍ، وصوت رعودٍ رهيبةٍ، تقول هللويا: إذ أن الرب، إلهنا القدير، قد اتخذ مجلسه بقدرةٍ ملكية. فلْنُسَرَّ ونبتهجَ ونقدم له الكرامة والإجلال.

يوم زفاف الحمل سيكون الجواب على عمل الفداء. المجدُ هو مكافأة الصليب. في ذلك اليوم ستتبارك العروس بشكلٍ لا متناهٍ، ولكن الحمل سيكتسب قوة وكرامة. سيكون له كل المجد، وأكثر من ذلك، ففي ذلك اليوم العظيم، سيرى الرب يسوع ثمر الكدح في نفسه وسيرضى. نحن أيضاً سنُعاين وجهه في البرِ وسنرضى عندما نستيقظ على شبهه.

يا ليوم الوعد العجيب،
العريسُ والعروسُ،
يترائيان في المجد إلى الأبد،
والحبُ سيُشبع.